

تفسير ابن كثير

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال : { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه } قال ابن عباس Bهما وغيره : هذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم E ثم قال : { أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا } وقال : { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين } والآيات في هذا كثيرة وقال الحسن البصري : لما أهبط الله آدم E من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال : إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك طنا من إبليس فأنزل الله D { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين } فقال عند ذلك إبليس : لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه فقال الله تعالى : [وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ولا يدعوني إلا أجبته ولا يسألني إلا أعطيته ولا يستغفر إلا غفرت له] رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تبارك وتعالى : { وما كان له عليهم من سلطان } قال ابن عباس Bهما : أي من حجة وقال الحسن البصري : والله ما ضربهم بعضا ولا أكرهم على شيء وما كان إلا غرورا وأمانا دعاهم إليها فأجابوه وقوله D : { إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك } أي إنما سلطنا عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه D في الدنيا ممن هو منها في شك .

وقوله تعالى : { وربك على كل شيء حفيظ } أي ومع حفظه ضل من ضل من أتباع إبليس وبحفظه وكلاءه سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل